الفصل الثامن

مسئوليات الزوجين فى الأسرة

مقدمة:

بعد إتمام الزواج، وانتقال الزوجة إلى بيت الزوجية، تنشأ أسرة من الزوجين، يشغل فيها الرجل مركز الزوج، والمرأة مركز الزوجة، وتبدأ المرحلة الأولى من دورة حياة الأسرة، بالتركيز على رعاية الحقوق الزواجية من خلال قيام كل من الزوجين بواجباته الزواجية من أجل حصول الزوج الآخر على حقوقه الزواجية فى الأسرة. فالواجبات الزواجية جزء لا يتجزأ من المسئوليات الأسرية، لا سيما فى الأسرة المسلمة التى حدد الله (سبحانه وتعالى) الواجبات والحقوق الزواجية فيها بتشريعات سماوية.

والشكل رقم (١) يُبين نشأة الأسرة بالزواج فى البداية من مركزين: الزوج والزوجة، ويشغل الرجل مركز الزوج، ويقوم بواجباته، لتحصل الزوجة على حقوقها، وتشغل المرأة مركز الزوجة، وتقوم بواجباتها ليحصل الزوج على حقوقه، فالحقوق والواجبات الزواجية متقابلة، فإذا قام كل من الزوجين بواجباته حصل الزوج الآخر على حقوقه، وإذا قَصَّر فيها وأهملها، حُرِم الزوج الآخر من حقوقه، أو حصل عليها منقوصة، واضطربت العلاقة الزواجية، واختلت الأسرة باضطراب العلاقة الزواجية، فالعلاقة الزواجية هى أساس استقرار الحياة الأسرية لا سيما فى المرحلة الأولى من دورة حياتها.

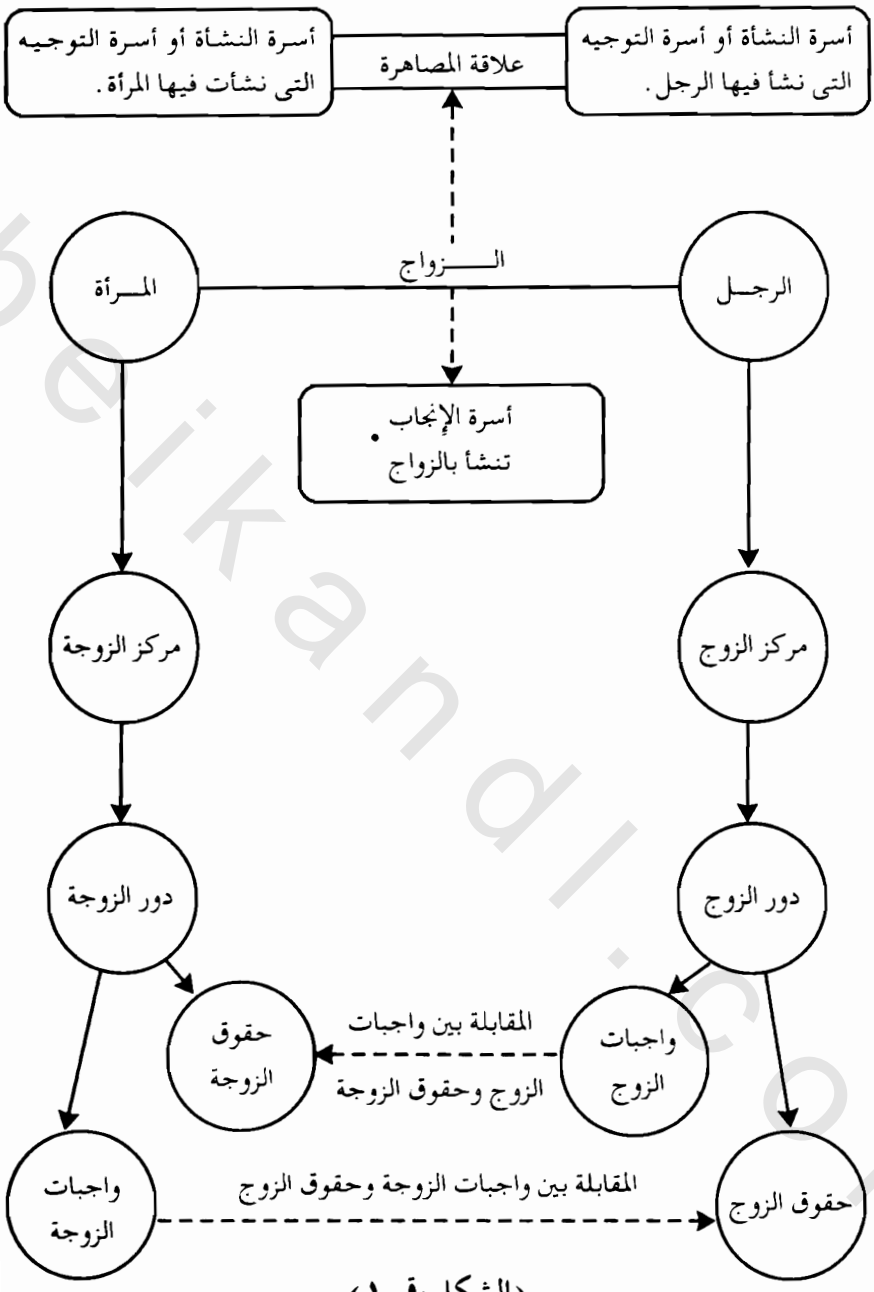

(الشكل رقم ١)

نشأة أسرة الإنجاب وعلاقتها بأسرتى التوجيه لكل من الزوجين

والمصلحة فى الأسرة الجديدة مشتركة بين الزوجين، وليس لأحد منهما مصلحة أكثر من الآخر فى بناء الأسرة واستمرارها وتماسكها، فالمرأة تستفيد من وجود هذه الأسرة واستمرارها، مثل استفادة الرجل منها، فهما متساويان فى المصلحة أى فى الحقوق الزواجية والأسرية.

وحاجة الأسرة الجديدة إلى المرأة مثل حاجتها إلى الرجل، فهى- أى الأسرة- بهما ولهما، ولا توجد إلا بوجودهما معًا فى الزواج الشرعى، الذى يلزم كل منهما بواجبات نحو الزوج الآخر، فهما متكاملان فى الواجبات الزواجية والأسرية.

وتتحقق مصلحة الزوجة فى الأسرة، وتحصل على حقوقها، إذا قام الزوج بواجباته الزواجية والأسرية، وتتحقق مصلحة الزوج فى الأسرة، ويحصل على حقوقه، إذا قامت الزوجة بواجباتها الزواجية والأسرية، فالواجبات والحقوق فى الزواج والأسرة متقابلة، ولكل من الزوجين من الحقوق مثل ما عليه من الواجبات. وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وتقوم الحياة الأسرية فى المرحلة الأولى من دورة حياة الأسرة على أساس رعاية العلاقة الزواجية التى لحمتها الحقوق الزواجية، وسداها الواجبات الزواجية، فإذا قام كل من الزوجين بواجباته، وحصل على حقوقه، قويت العلاقة الزواجية، وإذا تقاعس أحدهما أو كلاهما عن القيام بواجباته حُرِم الزوج الآخر من حقوقه، وأحبط فى زواجه.

وتتطلب الحياة الأسرية فى المرحلة الأولى من دورة حياتها أربع مسئوليات تناط بالزوجين معًا، لكى يحصل كل منهما على حقوقه

الزواجية. وهذه المسئوليات هى: الواجبات الزواجية، والأعمال المنزلية، والقوامة والإنفاق على الأسرة، حيث يعمل الزوجان معاً «كفريق عمل» متخصص فى رعاية الحقوق الزواجية[1] والمحافظة على الأسرة.

ونتناول فى هذا الفصل إسهامات كل من الزوجين فى المسئوليات الأسرية، والأسس النفسية والاجتماعية، التى يقوم عليها تحديد واجبات كل منهما نحو الزوج الآخر، وأسباب زيادة إسهامات الزوج على إسهامات الزوجة فى الإنفاق والقوامة، وزيادة إسهامات الزوجة على إسهامات الزوج فى الأعمال المنزلية، وتساوى إسهاماتهما فى الواجبات الزواجية.

تعريف المسئوليات الأسرية:

يقصد بالمسئولية الأسرية Familistic responsiblity مجموعة من الواجبات أو الالتزامات الأسرية Familistic obligations يقوم بها كل من الزوجين لإنجاز وظيفة أو أكثر من وظائف الأسرة فى رعاية أفرادها وحمايتهم، وتحقيق الأمن والاستقرار النفسى والمودة والرحمة المتبادلة بينهم.

وتدور مسئوليات الأسرة فى المرحلة الأولى من دورة حياتها حول «رعاية الحقوق الزواجية» أى حول رعاية كل من الزوجين للزوج الآخر من خلال القيام بالمسئوليات الآتية:

١- **مسئوليات الواجبات الزواجية**: وهى واجبات يقوم بها كل من الزوجين، لكى يحصل الزوج الآخر على حقوقه الزواجية.

٢- **مسئوليات الأعمال المنزلية**: وهى واجبات يقوم بها الزوجان من أجل استقرار بيت الزوجية أو بيت الأسرة، ويتحقق لهما الأنس والمودة والرحمة المتبادلة بينهما.

٣- **مسئوليات الإنفاق على الأسرة**: وهى واجبات يقوم بها الزوجان من أجل توفير حاجات معيشة الأسرة.

٤- **مسئوليات القوامة فى الأسرة**: وهى واجبات يقوم بها الزوجان من أجل رعاية الأسرة وحمايتها، وتصريف أمورها، وإرشاد أفرادها، والمحافظة على وحدتها، وتحريكها نحو أهدافها.

وتدخل إسهامات كل من الزوجين فى الأعمال المنزلية والإنفاق والقوامة فى واجباته الزواجية(٢) لأنها مسئوليات أساسية فى رعاية الحقوق الزواجية، مما يجعل المسئوليات الأربع مترابطة، ولا يمكن الفصل بينها إلا من أجل الدراسة والبحث فقط.

تصنيف بارسونز للمسئوليات:

يقسم بارسونز Parsonse (مؤسس علم الاجتماع الوظيفى الأمريكى) المسئوليات الأسرية على محورين: محور رأسى للمراكز من القائد إلى التابع، ومحور أفقى لأهداف المسئوليات الأسرية من مسئوليات تعبيرية إلى مسئوليات وسيلية. والشكل رقم (٢) يبين توزيع المراكز والمسئوليات على أفراد الأسرة، ونجد فيه أن بارسونز يجعل القيادة للأب والأم أو الزوج والزوجة، والتبعية للأبناء،وأن المسئوليات التعبيرية من واجبات الأم والبنات،والمسئوليات الوسيلية من واجبات الأب والأولاد.

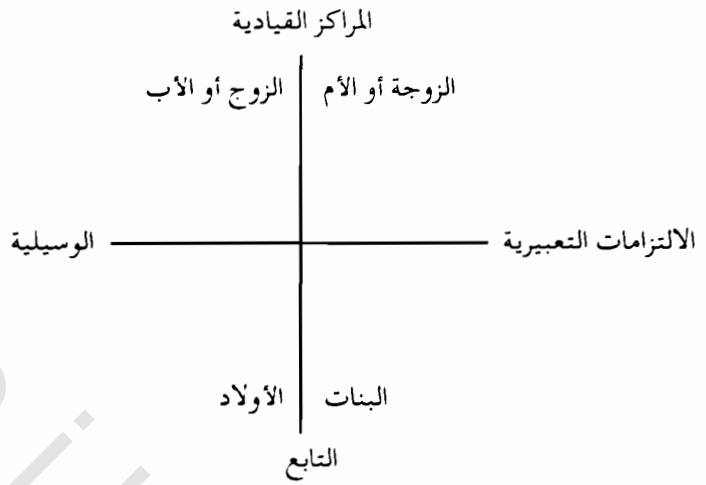

شكل رقم (٢) توزيع الالتزامات الأسرية وفق مخطط بارسونز

ويعنينا فى الشكل السابق تصنيف المسئوليات الأسرية إلى تعبيرية ووسيلية، ويقصد بارسونز بالمسئوليات الوسيلية Instrumental responsibilities الواجبات التى تربط الأسرة بالمجتمع،وتعمل على استمرارها كوحدة كائنة فى البيئة، وتشمل واجبات العمل وكسب الرزق والإنفاق والقيادة وغيرها، أما المسئوليات التعبيرية Expressive responsibilities، فهى واجبات أو التزامات تهدف إلى حفظ تماسك الأسرة وترابطها، وتحقيق السكن والأمن والمودة والرحمة بين أفرادها،وتشمل واجبات الرعاية والأمومة والأعمال المنزلية وغيرها.

ونحن لا نتفق مع بارسونز حول اختصاص الزوجة أو الأم بالمسئوليات التعبيرية، والزوج أو الأب بالمسئوليات الوسيلية، لأنه لا توجد مسئوليات أسرية تعبيرية خالصة Pure expressive responsibilities، وأخرى وسيلية خالصة Pure instrumental responsibility، فكل

واجب أو التزام يقوم به الزوج أو الزوجة فيه تعبير عن مشاعر الود والمحبة والرحمة المتبادلة، وهو فى الوقت نفسه التزام أو واجب وسيلى لرعاية الزوج الآخر وحمايته، وربط الأسرة بالمجتمع. وهذا يعنى أن واجبات الزوجين وسيلية وتعبيرية فى آن واحد. فقيام الزوج بواجباته والتزاماته الزواجية والأسرية، فيه تعبير عن مشاعر وده وحبه لزوجته، ووسيلة لرعايتها وحمايتها والإنفاق عليها. وقيام الزوجة بواجباتها الزواجية والأسرية فيها تعبير عن مشاعر ودها وحبها لزوجها، ووسيلة لرعايته وحمايته، وتوفير حاجاته المعيشية. فليست الزوجة وحدها مسئولة عن التعبير عن الود والعطف والرحمة من دون الزوج، وليس الزوج مسئولا وحده عن الإنفاق، وتوفير الحاجات المعيشية، وتمثيل الأسرة من دون الزوجة.

وقد عبر القرآن الكريم عن التزامات كل من الزوجين فى الأعمال الوسيلية والتعبيرية فى قوله تعالى: «**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**» أى أن الزوجة لباس لزوجها بحبها ورعايتها له، وهو لباس لها بحبه ورعايته لها. وفى قوله تعالى: «**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف**» فللزوجة من الحقوق مثل الذى عليها من الواجبات، فإذا علمنا أن الواجبات والحقوق الزواجية متقابلة، كانت واجبات الزوجة مثل واجبات الزوج وسيلية وتعبيرية، فهى تقوم بالتزامات وسيلية فى رعاية زوجها وتوفير حاجاته المعيشية، وفى الوقت نفسه تقوم بالتزامات تعبيرية تسهم فى الحفاظ على تماسك الأسرة وترابطها. وهو -أى الزوج- يقوم بواجبات وسيلية وتعبيرية فى آن واحد فى رعاية زوجته، وتوفير حاجاتها المعيشية، وتنمية تماسك الأسرة وترابطها، ومن الصعب الفصل بين ما هو تعبيرى وما هو وسيلى.

إسهامات الزوجين فى المسئوليات الأسرية:

يسهم كل من الزوجين فى المسئوليات الأسرية جميعها، ولا توجد مسئولية يسهم فيها الزوج ولا تسهم فيها الزوجة، أو تسهم فيها الزوجة ولا يسهم فيها الزوج. ولكن هناك مسئوليات يسهم فيها الزوج أكثر من الزوجة، ومسئوليات أخرى تسهم فيها الزوجة أكثر من الزوج، ومسئوليات ثالثة تتساوى إسهامات الزوجين فيها، ويتحملها الزوج بالقدر نفسه الذى تتحمله الزوجة.

والشكل رقم (٣) يبين رسمًا تخطيطيًا لإسهامات كل من الزوجين فى المسئوليات الأسرية الأربع.

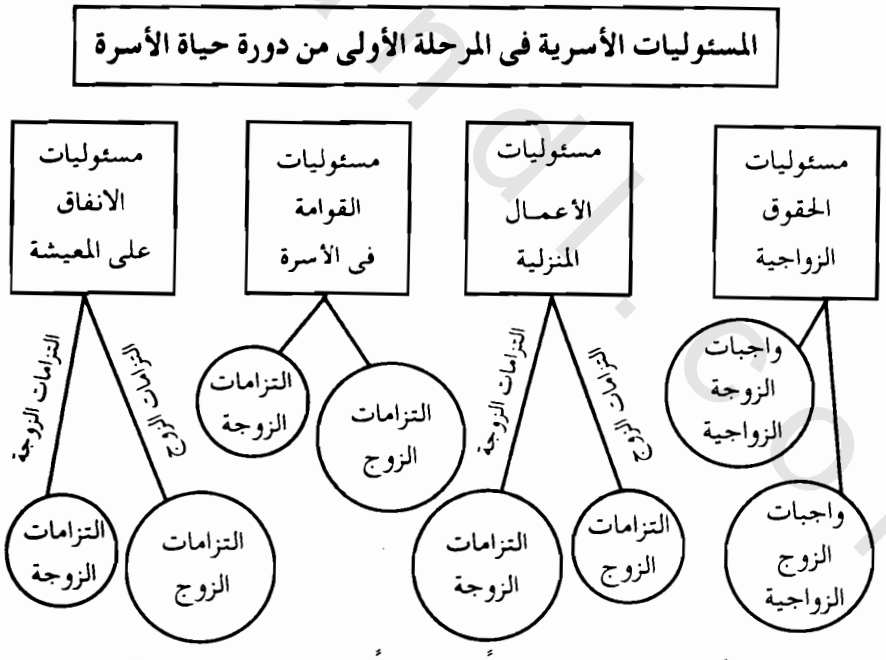

(الشكل رقم ٣) يبين رسمًا تخطيطيًا لإسهامات كل من الزوجين

ونجد فى الشكل السابق أن التزامات الزوجين متساوية فى مسئوليات الحقوق الزواجية، والتزامات الزوجة أكبر من التزامات الزوج فى مسئوليات الأعمال المنزلية، والتزامات الزوج أكبر من التزامات الزوجة فى مسئوليات القوامة والإنفاق على الأسرة.

الأسس التى يقوم عليها توزيع المسئوليات في الأسرة المسلمة:

لم يترك الإسلام توزيع الالتزامات بين الزوجين فى المسئوليات الأسرية لأهواء المسلمين، حتى لا يظلم أحد الزوجين الزوج الآخر، فحدد الواجبات والحقوق الشرعية الرئيسة فى الزواج، وأقر ما تعارف الناس عليه فى توزيع المسئوليات الأخرى فى غير معصية الله، ووزع الالتزمات الزواجية والأسرية وفق الأسس الآتية:

١- **التكامل بين التزامات كل من الزوجين فى الأسرة**: بحيث تكون التزامات الزوج فى أية مسئولية أسرية مكملة لالتزامات الزوجة.

٢- **العدل فى توزيع الالتزامات الأسرية على الزوجين**: فلكل منهما من الحقوق مثل الذى عليه من الالتزامات والواجبات.

٣- **المساواة بين الزوجين فى المصلحة أو الاستفادة من الحياة الأسرية**: فاستفادة كل منهما من والوجود فى جماعة الأسرة مساوية لاستفادة الزوج الآخر منها.

٤- **لاصراع فى الأسرة بين الزوجين**: فالزوجة شقيقة الزوج، ولا ضرر ولا ضرار لأى منهما فى الحياة الأسرية.

٥- **مراعاة استعدادات وقدرات وميول كل من الزوجين فى القيام بالمسئوليات الأسرية**: فتزداد التزامات الزوج فى المسئوليات التى تتفق

مع طبيعته الذكرية، وتزداد التزامات الزوجة فى المسئوليات التى تتفق مع طبيعتها الأنثوية، فكل ميسر لما خلق له.

٦- **مراعاة ما تعارف عليه الناس فى المجتمع فى توزيع الالتزامات الأسرية بين الزوجين** بشرط العدل وعدم الجور، وتحقيق المصلحة المشروعة لكل منهما فى الأسرة.

٧- **القيام بالالتزامات الأسرية من العبادات التى ترضى الله ورسوله:** فقيام الزوج بالتزاماته الزوجية والأسرية له فى ذلك أجر من الله. فقد قال رسول الله: «**اللقمة تضعها فى فيه زوجتك لك فى ذلك أجر من الله**». وقيام الزوجة بواجباتها الزواجية والأسرية يعدل الجهاد فى سبيل الله. فقد قال عليه الصلاة والسلام لوافدة النساء: «**حُسن تبعلكن يعدل ذلك**» أى الجهاد فى سبيل الله.

٨- **التقصير فى أداء الالتزامات الزواجية والأسرية من دون عذر مقبول يغضب الله ورسوله**، لأن فيه ظلما للزوج الآخر، وحرمانًا له. فقد عبر رسول الله ﷺ عن ذلك عندما بيَّن للرجال «**ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم**» وبيَّن للسناء «**حُسن تبعل المرأة لزوجها يعدل الجهاد فى سبيل الله**».

مسئوليات الواجبات الزواجية

الوظيفة الأساسية للأسرة فى بداية دورة حياتها هى رعاية الحقوق الزواجية، من خلال قيام كل من الزوجين بواجباته نحو الزوج الآخر، كى يحصل الزوج الآخر على حقوقه، وتسمى الواجبات «واجبات الزواجية» والحقوق «حقوق الزواجية».

الواجبات الزواجية:

يقصد بالواجبات الزواجية Marital duties التزامات أو أعمال يقوم بها كل من الزوجين نحو الزوج الآخر، من أجل رعايته وإشباع حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية. وتنقسم هذه الواجبات إلى قسمين: قسم يقوم به الزوج نحو الزوجة، وتسمى واجبات الزوج، وقسم ثان تقوم به الزوجة نحو الزوج، ويسمى واجبات الزوجة، ونوضح القسمين فى الآتى:

واجبات الزوج: Husband duties ويقصد بها التزامات يقوم الزوج بها لزوجته، لأنه زوجها، ولا يجوز له أن يهمل فيها، أو يتقاعس عنها. فعقد الزواج الذى هو طرف فيه، يلزمه بهذه الواجبات، وهو عندما تزوج بإرادته شغل مركز الزوج، وأنيط به دور الزوج Husband role فى الأسرة، وأصبح عليه أن يقوم بواجبات الزوج نحو زوجته، والتى حددها الإسلام فى دفع المهر، والنفقة، والقوامة، وحسن العشرة، وإشباعها جنسيًا ونفسيًا، وأن يحب لها ما يحب لنفسه، وأن يرعاها ويحميها، ويصونها ويحترمها، ويؤنسها ويعفها، ويتزين وَيَتَجَّمل لها، ويحفظ سَرها، ويغار عليها، ويتسامح معها، ويعطف عليها، ويرعاها، ويشعرها بحبه واحترامه، ولا يخونها ولا يهينها، ولا يتصيد أخطاءها، ولا يتغيب عنها، ولا يؤذيها، وأن يتحمل أذاها، وأن يداعبها ويلاطفها، ويروح عنها، ويصاحبها ويشاركها أفراحها وأحزانها.

وأجمل الإسلام واجبات الزوج نحو زوجته فى قوله تعالى مخاطبًا الرجال: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا**

﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] وفى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا، وخياركم خياركم لنسائه**» (رواه مسلم). وقوله: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى. ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم**» (رواه ابن عساكر). وقوله: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضى منها آخر**» (رواه مسلم) أى لا يبغض زوج مؤمن زوجته المؤمنة، فمن شيمة الزوج المؤمن أن يحب زوجته ويحترمها ويثق بها. وقوله عليه الصلاة والسلام: «**أطعموهن مما تأكلون، واكسوهن مما تلبسون، ولا تضربوهن ولا تقبحوهن**» (رواه أبو داود).

وللزوج المسلم القدوة الحسنة فى رسول الله ﷺ فى حسن معاشرة الزوجة. فقد كان عليه الصلاة والسلام طيب العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويروِّح عنهم، ويصاحبهم ويساعدهم فى أعمال البيت (الطيبى، ١٩٩٥).

واجبات الزوجة: Wife duties ويقصد بها التزامات تقوم الزوجة بها لزوجها، لأنها زوجته، ولا يجوز لها أن تهمل فيها، أو تتقاعس عنها، فعقد الزواج الذى هى طرف فيه، يلزمها بهذه الواجبات، وهى عندما تزوجت بإرادتها، شغلت مركز الزوجة، وأُنيط بها دور الزوجة Wife role فى الأسرة، وأصبح عليها أن تقوم بواجبات الزوجة نحو زوجها.

وقد حدد الشرع واجبات الزوجة نحو زوجها فى الطاعة، وحسن العشرة وإشباعه جنسيًا ونفسيًا، وأن تحب له ما تحب لنفسها، وأن ترعاه وتؤنسه، وتتزين له، وتغار عليه، وتشعره بحبها، واحترامها له، وتداعبه

وتلاعبه وتلاطفه، وتصاحبه، وتشاركه أفراحه وأتراحه، وتحفظ له عرضه وماله وسره، وألا تخونه ولا تؤذيه، وأن تتحمل أذاه.

وأجمل الإسلام واجبات الزوجة نحو زوجها فى وصف القرآن الكريم للزوجة الصالحة، بأنها قانتة أى مطيعة لله ورسوله، قائمة بواجبات الزوجية، حافظة لنفسها، وعرضها وشرفها ومال زوجها وأسراره (الخشت، ١٩٨٤: ٢١) فقد قال تعالى: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ [النساء: ٣٤] وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**خير النساء التى إذا أعطيت شكرت، وإذا حرمت صبرت، تسرك إذا نظرت، وتطيعك إذا أمرت**». وقال أيضًا لوافدة النساء: «**انصرفى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أن إطاعة الزوج - اعترافًا بحقه- يعدل ذلك**» وفى رواية أخرى للحديث «**أعلمى من وراءك من النساء أن حُسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها لمرافقته تعدل كل ذلك**» أى تعدل ثواب صلاة الجمعة والجماعة وعيادة المريض وشهود الجنائز والجهاد فى سبيل الله (رواه البزار).

الحقوق الزواجية:

يقصد بالحقوق الزواجية Marital rights ما يستفيده كل من الزوجين من قيام الزوج الآخر بواجباته الزواجية نحوه. بعبارة أخرى هى المصالح التى تتحقق لكل من الزوجين من قيام الزوج الآخر بواجباته الزواجية. ويقصد بالاستفادة فى الزواج إشباع كل من الزوجين حاجاته المادية والمعنوية من خلال علاقته بالزوج الآخر.

فالله سبحانه وتعالى شرع الزواج لفائدة الرجل والمرأة، وتحقيق مصالح لهما، تتمثل فى إشباع حاجات كل منهما بطريقة سليمة عفيفة وشريفة، تحفظ كرامته، وتحقق له الأمن والأمان والسلامة، لا سيما إشباع الحاجة إلى الجنس، التى لا يستطيع المسلم أو المسلمة إشباعها إلا بالزواج، الذى شرعه الله سبحانه وتعالى. فقد قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ [المعارج: ٢٩ - ٣١].

ويحصل كل من الزوجين فى الزواج على حقوق مساوية للحقوق التى يحصل عليها الزوج الآخر بالكمال والتمام، لأن حاجاتهما الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية واحدة، ولا توجد مصلحة للزوج أكثر من الزوجة فى الزواج، ولا تستفيد الزوجة أكثر من الزوج فالمصلحة واحدة، والفائدة مشتركة، لأن حاجات الرجل فى الزواج وإنشاء الأسرة هى حاجات المرأة نفسها بالكمال والتمام، ويصنفها علماء الصحة النفسية[٣] فى أربعة أنواع من الحاجات، نلخصها فى الآتى:

١- **حاجات جسمية**: وتشمل الحاجات إلى الطعام والمأوى والكساء والجنس والنشاط والراحة والنوم، وغيرها من الحاجات العضوية، التى ترتبط بحفظ حياة الزوجين واستمرار نسلهما.

٢- **حاجات نفسية**: وتشمل الحاجات إلى الأمن والأمان، والاعتماد على النفس والإنجاز، وتقدير الذات، وتحقيق الذات، والشعور بالكفاءة، وغيرها من الحاجات المعنوية، التى ترتبط بتزكية النفس والصحة النفسية عند الزوجين، وحمايتهما من الوهن النفسى، والانحرافات السلوكية، والأمراض السيكوسوماتية.

٣- حاجات اجتماعية: وتشمل الحاجات إلى أن نُحِب ونُحَب، والاستحسان والتقدير والانتماء والأنس، والتقبل والاحترام من الزوج الآخر، وغيرها من الحاجات المعنوية التى تربط الزوجين معًا، وتجعلهما كالجسد الواحد، أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا.

٤- حاجات روحية: وتشمل الحاجات إلى اتباع سنة الرسول فى الزواج، وعبادة الله وتعمير الأرض، وإنجاب الولد الصالح، وغيرها من الحاجات، التى تربط كل من الزوجين بربه، من خلال القيام بالواجبات الزواجية، إبتغاء مرضاة الله.

علاقة الواجبات بالحقوق الزواجية:

ترتبط حقوق الزوج بواجبات الزوجة، وحقوق الزوجة بواجبات الزوج. وهذا ما يجعل الواجبات والحقوق الزواجية متقابلة ومتساوية، فحقوق الزوج واجبات على الزوجة، وحقوق الزوجة واجبات على الزوج. بعبارة أخرى عندما نتحدث عن حقوق الزوج فهى واجبات الزوجة، وعندما نتحدث عن حقوق الزوجة فهى واجبات الزوج، فلا حقوق لأى منهما إلا وتكون واجبات على الزوج الآخر. وعندما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «**ألا إن لكم على نسائكم حقًا ونسائكم عليكم حقًا فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم ما تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن**» (رواه الترمذى). فقد عبر عليه الصلاة والسلام عن حق الزوج بواجبات الزوجة، وحق الزوجة بواجبات الزوج، فإذا قامت الزوجة بواجباتها حصل الزوج على حقوقه، وإذا قام الزوج بواجباته حصلت الزوجة على حقوقها.

والشكل رقم (٤) يبين علاقة الواجبات بالحقوق فى الزواج، ونجد فيه أن واجبات الزوج يقابلها حقوق الزوجة، وواجبات الزوجة يقابلها حقوق الزوج.

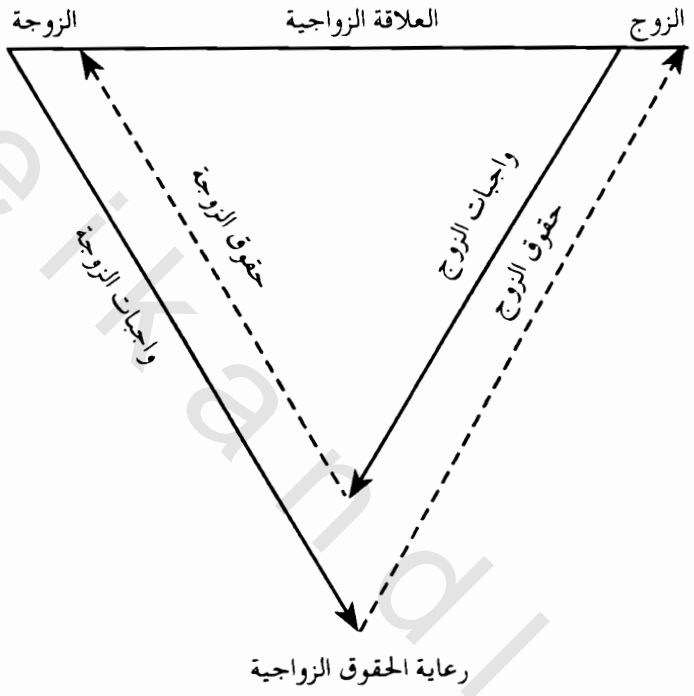

(الشكل رقم ٤) يبين علاقة الواجبات بالحقوق فى الزواج

ويحصل كل من الزوجين على حقوقه فى إشباع حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية من قيام الزوج الآخر بواجباته الزواجية، فى حين يحصل كل منهما على حقوقه فى إشباع حاجاته الروحية من قيامه هو بواجباته نحو الزوج الآخر، ومن إخلاصه فى رعاية الزوج الآخر وحمايته، ابتغاء مرضاة الله، الذى وعد كل منهما بالثواب والأجر العظيم، إن هو أحسن إلى الزوج الآخر، وتحمل إساءته. فكان حُسن

تبعل الزوجة لزوجها يعدل الجهاد فى سبيل الله، وكانت اللقمة التى يضعها الرجل فى فم زوجته صدقة، وكان فى بضع كل من الرجل والمرأة صدقة أى ثواب من الله، إذا أشبع كل منهما حاجته الجنسية بالزواج، الذى يبعده عن الحرام.

وتدفع الرغبة فى الحصول على الثواب من الله (حقوق روحية) كلا من الزوجين إلى التضحية من أجل الزوج الآخر، وإلى التسامح معه، وتحمل أذاه، والصبر عليه، ومُقابلة الحسنة منه بأحسن منها، ومقابلة السيئة منه بالحسنة. فالزوج المؤمن إذا أحب زوجته أكرمها، وإذا كرهها لم يهنها، وعاشرها بالمعروف ولا يبغضها، فعسى أن يكره شيئاً ويجعل الله له فيه خيراً كثيراً. وكانت الزوجة المؤمنة إذا غضب زوجها منها قالت له لا تكتحل عينى بغمض حتى ترضى، ولا تقابل غضبه بغضب، ابتغاء الثواب من الله، أى لكى تحصل على حقوقها الروحية من الله، الذى لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فرغبة المسلم فى الثواب من الله (إشباع حاجاته الروحية) يجعله يرتقى بأداء واجباته نحو الزوج الآخر، ويخلص فيها، لا رغبة فى إشباع حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية فقط، بل لإشباع حاجاته الروحية، فيفوز بالنجاح فى الزواج والأسرة فى الدنيا، وبالثواب من الله والجنة فى الآخرة. وهى – أى الآخرة – خير وأبقى للمسلم والمسلمة، ولا يؤمن بهذا إلا من آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً.

الإسهامات النسبية فى الواجبات الزواجية:

يسهم كل من الزوجين فى رعاية الحقوق الزواجية من خلال قيامه بواجباته نحو الزوج الآخر، فرعاية الحقوق الزواجية لهما وبهما معاً، ولا

يجوز أن تكون بأحدهما أو لأحدهما دون الآخر، أو تكون لأحدهما أكثر من الآخر. والسؤال **ما الإسهامات النسبية لكل من الزوجين فى الواجبات الزواجية؟**. بعبارة أخرى **أى من الزوجين تقع عليه مسئولية رعاية الحقوق الزواجية أكثر من الزوج الآخر؟**.

ونجيب أن إسهامات كل من الزوجين فى رعاية الحقوق الزواجية متساوية، حيث تقع مسئولية رعاية الحقوق الزواجية عليهما بالتساوى، لا سيما فى الأسرة المسلمة، التى يقوم فيها توزيع واجبات رعاية الحقوق الزواجية على أساس أن لكل منهما من الحقوق مثل الذى عليه من الواجبات، فإذا كانت حقوق الزوج هى نفسها حقوق الزوجة وهى إشباع الحاجات الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية، وكانت حقوق الزوج واجبات على الزوجة، وحقوق الزوجة واجبات على الزوج، فإن النتيجة المنطقية هى أن واجبات الزوج مساوية لواجبات الزوجة فى عائدها الجسمى والنفسى والاجتماعى والروحى، وإن اختلفت فى بعض مكوناتها أو بعض أنواعها أو بعض التزاماتها.

كما أننا لا نستطيع أن نفاضل بين دور الزوج ودور الزوجة فى الحياة الزوجية لأنهما وجهان لعملة واحدة، ولا يوجد أى منهما من دون الآخر، وإذا كان دور الزوج هو واجبات الزوج وحقوقه، ودور الزوجة هو واجبات الزوجة وحقوقها، فإن الدورين متساويان فى الحقوق، ومتكاملان فى الواجبات.

يضاف إلى هذا أن الزواج عند المسلمين شرعه الله تعالى لمصلحة كل من الزوجين بالعدل والتساوى، وليس لمصلحة الرجل أكثر من المرأة، لأن فى ذلك جور وظلم لصاحب المصلحة الأقل، وحاشى لله أن يكون فى تشريعه جَوْر أو ظلم لأحد، فهو الذى خلق الذكر والأنثى.

مسئوليات الأعمال المنزلية

يتكون الوجود المادى لأية أسرة من ثلاثة أبعاد هى الزوج والزوجة والمنزل. كما هو موضح بالشكل رقم (٥) الذى يبين مثلث الوجود الأسرى فى المرحلة الأولى من دورة حياتها. ونجد فيه أن الزوجين يرتبطان بعقد الزواج الشرعى، الذى يلزمهما بالحياة معًا فى منزل أو مأوى يُعِدَّانه، ويحافظان عليه، ويعملان معًا من أجله، لأنه لا وجود للأسرة من دون مأوى يأويان إليه، ويرتبطان به، وينتميان إليه، ويسكنان فيه. فلا أمن ولا أمان لهما من دون بيت، تكون المرأة سيدته، والرجل راعيه وحاميه. وهذا ما يجعل الأعمال المنزلية من المسئوليات الأساسية فى الأسرة.

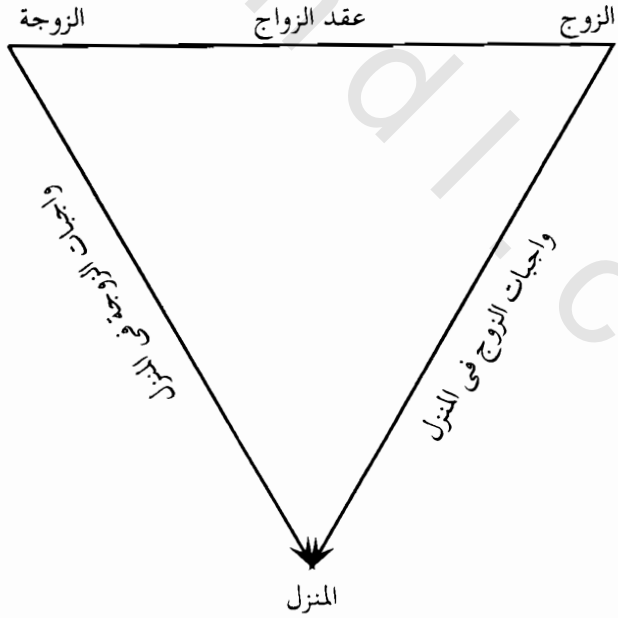

(الشكل رقم ٥) يوضح مثلث الوجود الأسرى

ويقصد بالأعمال المنزلية Domestic works، واجبات يقوم بها كل من الزوجين من أجل المحافظة على المنزل، الذى يأويان إليه، وتشمل أعمال الطبخ والكنس والغسيل والترتيب والنظافة، وأعمال توفير حاجات المعيشة اليومية، وأعمال تهيئة البيت للراحة والاسترخاء والنوم والترويح والأنس والمودة والمحبة، وغيرها من الأعمال التى تقوم عليها حياة الأسرة واستقرارها وتماسكها وترابطها ومعيشتها.

فالأعمال المنزلية هى المكون الثالث للأسرة، فلا أسرة من دون الأعمال المنزلية كما أنه لا أسرة من دون زوج وزوجة يقومان بهذه الأعمال المنزلية من أجل الأسرة.

ويطلق بعض الباحثين على الأعمال المنزلية «دور المرأة التقليدى» فى مقابل «دورها الحديث» فى العمل خارج البيت. وهذا خطأ لأن الأسرة تتكون فى البداية من مركزين لا ثالث لهما، هما: مركز الزوج الذى يرتبط به دور الزوج، ومركز الزوجة الذى يرتبط به دور الزوجة (مرسى، ٢٠٠٣). ولا يوجد مركز تقليدى تشغله المرأة، ويرتبط به دور الأعمال المنزلية، ومركز حديث تشغله المرأة، ويرتبط به دور العمل خارج البيت.

فالأعمال المنزلية أو العمل خارج البيت واجبات فى الأسرة لا تقابلها حقوق، وهى واجبات ترتبط بأدوار الزوجية والوالدية وليست أدواراً فى الأسرة بذاتها. فالزوجة تقوم بالأعمال المنزلية، وتعمل خارج البيت لرعاية نفسها ورعاية زوجها، وتقوم بهما بعد الإنجاب لرعاية نفسها وزوجها وأبنائها، ولا تُعطيها الأعمال المنزلية ولا العمل خارج البيت مركزاً جديداً فى الأسرة، لأنها تظل زوجة وأمًّا، تؤدى الأعمال المنزلية،

وتعمل خارج البيت من أجل نفسها وزوجها وأبنائها أى من أجل أسرتها.

ومن الخطأ المقابلة بين مسئوليات المرأة فى الأعمال المنزلية، ومسئولياتها فى العملِ خارجِ البيت، لأن النوعين من المسئوليات ليستا متضادين أو متعارضين، وتستطيع المرأة العاملة الجمع بينهما، وتؤديهما ضمن واجباتها كفرد وزوجة وأم.

كما ترتبط مسئوليات الأعمال المنزلية والعمل خارج البيت بروابط وثيقة بالواجبات الزواجية (أى واجبات الزوج نحو الزوجة وواجبات الزوجة نحو الزوج) والواجبات الوالدية (أى واجبات الأبوة التى تناط بالأب، وواجبات الأمومة التى تناط بالأم فى الأسرة) وسنركز فى هذه المناقشة على أهمية الأعمال المنزلية بالنسبة لدور الزوج والزوجة فى الأسرة، ونؤجل مناقشة أهميتها بالنسبة لدور الأب والأم فى رعاية الأبناء للكتاب الثالث.

أهمية الأعمال المنزلية:

والأعمال المنزلية ليست أعمالاً حقيرة تحط من شأن مَنْ يقوم بها، كما يدعى بعض زعماء تحرير المرأة، بل هى أعمال مهمة ترفع من شأن مَنّ يقوم بها، وتستمد أهميتها من أهمية الزواج والأسرة فى حياة الرجل والمرأة. وتتلخص أهمية الأعمال المنزلية فى الآتى:

أ- المحافظة على بيت الأسرة الذى لا توجد الأسرة إلا به، فمن يتزوج عليه أن يسهم فى الأعمال المنزلية من أجل إعداد البيت، وتوفير الحاجات المعيشية والأمن والاستقرار والراحة لمن يقيم فيه.

ب- الأعمال المنزلية وسيلة كل من الزوجين لرعاية الزوج الآخر، والتعبير العملى أو الفعلى عن حبه ومودته ومساندته له. فالزوجة التى تقوم بالأعمال المنزلية من أجل رعاية زوجها «زوجة صالحة»، لأنها تقوم بواجباتها الزواجية، وتعبر لزوجها عن حبها ومودتها، ومساندتها له فى الحياة الزوجية والأسرية، وتوجه له رسالة حب ومودة من خلال هذه الأعمال، فيرتفع قدرها عنده، ويزداد حبًا لها، وارتباطًا بها، ويأوى إلى البيت قرير العين، مرتاح الفؤاد.

وكذلك الزوج الذى يُسهم فى الأعمال المنزلية من أجل رعاية زوجته «زوج صالح»، لأنه يقوم بواجباته الزواجية، ويعبر لزوجته عن حبه ومودته، ومساندته لها فى الحياة الزوجية والأسرية، ويرسل لها رسالة حب ومودة من خلال هذه الأعمال، فيرتفع قدره عندها، وينشرح صدرها وعقلها بأفعاله وأقواله، وتأوى إليه قريرة العين مرتاحة الفؤاد.

جـ- الدوافع إلى الأعمال المنزلية دوافع نبيلة تُشَرِّف مَنْ يقوم بها: رجل أو امرأة، لأنها تقوم على التضحية والتعاون والمساندة من دون مقابل، فهى أعمال رعاية وتكريم، وليست أعمال خدمة وتسخير. وهى واجبات يقوم بها كل من الزوجين من أجل رعاية الزوج الآخر وحمايته، والمحافظة عليه فى بيت الزوجية أو بيت الأسرة، وهى من أهم عوامل تنمية العلاقة الزواجية، فمن خلالها يدرك كل من الزوجين اهتمام الزوج الآخر به، وحبه له، وتضحيته من أجله.

وليس صوابًا ما يزعمه زعماء تحرير المرأة من أن الأعمال المنزلية مهنة زائفة، أو شكل من أشكال «استعباد الرجال للنساء» لأنه زعم ينم عن

سوء فهم أو عدم فهم، للعلاقة بين الأعمال المنزلية والعلاقة الزواجية وبين الأعمال المنزلية والعلاقة الوالدية، فالقيام بالأعمال المنزلية هى التى تجعل المرأة «زوجة صالحة» فى رعاية زوجها و«أمًّا جيدة» في رعاية أبنائها، وتجعل الرجل «زوجًا صالحًا» في رعاية زوجته، و«أبًّا جيداً» فى رعاية أبنائه، فخيركم خيركم لأهله، وخير الرجال من كان فى مهنة أهله، وخير النساء من كانت في مهنة أهلها، كما كانت أمهات المؤمنين وزوجات الصحابة والتابعين.

الإسهامات النسبية فى الأعمال المنزلية:

ارتباط الأعمال المنزلية برعاية الحقوق الزواجية يجعل القيام بواجبات الأعمال المنزلية من الواجبات الزواجية لكل من الزوجين، وتجعل كلاً منهما يسهم فيها من أجل رعاية الزوج الآخر، فالزوجة تسهم فى الأعمال المنزلية من أجل رعاية زوجها، والزوج يسهم فى هذه الأعمال من أجل رعاية زوجته. لكن إسهامات الزوجة أكبر من إسهامات الزوج فى هذه المسئوليات لسببين رئيسين نوضحهما فى الآتى:

١- طبيعة المرأة التى تجعلها تميل إلى الأعمال المنزلية، وتكتسب مهاراتها، وتحسن أداءها، وتصبرعليها، وتدقق فى صغيرها وكبيرها. فمعظم النساء ينشغلن بأمور البيت ونظامه، وإدارة شئونه أكثر من الرجال. فبيت الزوجية مملكة المرأة وهى راعيته، ومن دون رعايتها له تختل الحياة الزواجية والأسرية.

٢- العرف السائد فى المجتمع يجعل مسئولية المرأة أكبر من مسئولية الرجل فى الأعمال المنزلية، حيث تنشأ الأجيال على هذا العرف الذى

يشجع البنات منذ الصغر على الاهتمام بمنزل الأسرة، وأداء الأعمال المنزلية، لكى تكون البنت «زوجة صالحة» و«أمًا جيدة». فالعرف – أى ما تعارف عليه الناس وعملوا به – فى معظم المجتمعات يجعل مسئولية المرأة أكبر من مسئولية الرجل فى هذه الأعمال، سواء كانت ربة بيت أو تعمل مع الرجل خارج البيت. فالعرف يربط الأعمال المنزلية بالبنت أكثر من الولد، وبالأخت أكثر من الأخ، وبالزوجة أكثر من الزوج، وبالأم أكثرمن الأب.

المرأة والأعمال المنزلية:

تشير الدراسات على مجتمعات عديدة فى الشرق والغرب، مسلمة وغير مسلمة إلى أن المرأة تعمل أكثر من الرجل فى الأعمال المنزلية (Hass, 1995). فمن دراسة أمريكية تبين أن المرأة تعمل فى هذه الأعمال حوالى ٥٦ ساعة أسبوعيًا إذا كانت ربة بيت، و٢٩ ساعة إذا كانت تعمل خارج البيت، أما الرجل فيعمل ٨ ساعات فقط. وفى دراسة ثانية تبين أن المرأة تعمل فى الأعمال المنزلية حوالى ٤٤ ساعة أسبوعيًا إذا كانت ربة بيت، و٢٥ ساعة إذا كانت تعمل خارج البيت، أما الرجل فيعمل ١٠ ساعات فقط (Lach - Heaselbert, 1986).

وفى مصر تبين أن المرأة تعمل فى الأعمال المنزلية حوالى ٥٩ ساعة فى الأسبوع، إذا كانت ربة بيت، و٢٨ ساعة إذا كانت تعمل خارج البيت، أما الرجل فيعمل حوالى ٩ ساعات فقط. وفى الكويت تبين أن المرأة تعمل فى الأعمال المنزلية حوالى ٥٤ ساعة فى الأسبوع، إذا كانت ربة بيت، و٢٩ ساعة إذا كانت تعمل خارج البيت، أما الرجل فيعمل حوالى ٦ ساعات فقط.

نخلص من هذه الدراسات إلى أن الأعمال المنزلية تستغرق من وقت المرأة من ٦ – ٨ ساعات يوميًا، إذا كانت ربة بيت، ومن ٣ – ٤ ساعات يوميًا إذا كانت تعمل مع الرجل خارج البيت، أما الرجل فإن الأعمال المنزلية تستغرق من وقته من ١٥ – ٣٠ دقيقة يوميًا، إذا كانت الزوجة ربة بيت، ومن حوالى ٤٥ – ٩٠ دقيقة يوميًا إذا كانت الزوجة تعمل معه خارج البيت.

اتجاهات المرأة نحو مشاركة الرجل فى الأعمال المنزلية: من دراسة على ٦٥٠ زوجة فى مصر أيدت ٧٢٪ منهن مشاركة الرجل فى الأعمال المنزلية، ورفضت ٢٨٪ هذه المشاركة، لأن هذه الأعمال ليست من اختصاص الرجال. أما اللائى أيدن إسهام الرجال فى الأعمال المنزلية، فأشرن إلى الحاجة إلى جهود الرجال فى هذه الأعمال، لاسيما إذا كانت الزوجة مريضة، أو تعمل خارج البيت، أو كانت الأسرة كبيرة الحجم، ولا توجد خادمة.

كما تبين أن الزوجات اللاتى لا يحبذن مشاركة الرجل فى الأعمال المنزلية غير متعلمات، ومتفرغات لأسرهن. أما الزوجات المحبذات لمشاركة الرجل فى هذه الأعمال فكن متعلمات، والكثيرات منهن موظفات، ويشعرن بالحاجة إلى مساعدة الزوج لهن فى البيت.

ومع اتفاق معظم النساء على ضرورة مشاركة الرجال فى الأعمال المنزلية، فإنهن يختلفن فى تفسير هذه المشاركة، وتقديرها أو تثمينها. فمن مناقشة مجموعة من النساء لقيام الزوج بإعداد طعام العشاء للأسرة (هوكستشايلد، ١٩٩٥: ٢٦٥) انقسمت آراؤهن إلى ست فئات نلخصها فى الآتى:

١- زوجة أدركت فى هذا العمل رسالة حب من الزوج لها، حيث فهمت من إعداد الزوج لطعام العشاء أنه يقول لها «أحبك». وكانت سعيدة بهذا العمل.

٢- زوجة أخرى أدركت أن زوجها يساعدها فى إعداد طعام العشاء للأسرة ويجب شكره على التعاون والمساندة.

٣- زوجة ثالثة أدركت أن زوجها يقوم بواجبه فى الأسرة، ولا شيء فى ذلك، وليس بالأمر الغريب.

٤- زوجة رابعة شعرت بالذنب، لأنها شغلت زوجها عن عمله، وشعرت بالحرج والندم.

٥- زوجة خامسة أدركت أن زوجها لا يعجبه طبخها، فأعد العشاء بنفسه، وبالطريقة التى تعجبه.

٦- زوجة سادسة أدركت أن زوجها يمارس هوايته فى الطبخ، فهو طباخ ماهر، ويريد أن يظهر مهاراته فى الأعمال المنزلية.

تأثير الزوجة على إسهامات الزوج فى الأعمال المنزلية: للزوجة تأثير كبير على إسهامات زوجها فى الأعمال المنزلية، فهى إما أن تشجعه، أو تثبط همته فى المشاركة فى هذه الأعمال. فقد تكون الزوجة نشيطة فى الأعمال المنزلية، ولا تترك مجالاً لمشاركة الزوج فى أى منها، فهى تعمل كل شيء، ولا تطلب المساعدة، وإذا عمل الزوج شيئًا لا يعجبها، وتعيد عمله من جديد.

أو تكون زوجة من النمط الذى يعتقد أن الأعمال المنزلية مسئولية الزوجة وليس للزوج نصيب منها. فالنساء خلقن للأعمال المنزلية، والرجال للعمل خارج البيت.

أو تكون زوجة حنانة أو منانة أو أنانة كثيرة الخلافات مع زوجها، فتدفعه إلى عدم المكث فى البيت، وعدم الاهتمام بالأعمال المنزلية، لأنه لا يحب البيت ولا يهتم بشئونه.

أو تكون زوجة ضعيفة الشخصية غير متعلمة، ولا تحسن شيئاً غير الأعمال المنزلية، فيستخف بها زوجها، ولا يسهم معها فى هذه الأعمال.

أما إذا كانت الزوجة ناضجة الشخصية، متعلمة، تحسن معاملة زوجها، وتحببه فى الوجود معها فى البيت، فيقدرها ويحترمها، ويعاونها فى أعمال البيت، ويسهم معها فيها.

أو كانت زوجة عاملة تجتهد فى عملها، وفى رعاية بيتها، فيزداد شعور الزوج بالمسئولية، والرغبة فى التعاون معها، والتخفيف عنها من خلال الإسهام معها فى الأعمال المنزلية.

المرأة العاملة والأعمال المنزلية: تُواجه كثير من النساء العاملات صعوبات أو ضغوطات نفسية، بسبب واجباتهن الكثيرة فى البيت والعمل، مما يجعلهن عرضة لصراع الأدوار والاضطرابات النفسية والأمراض السيكوسوماتية.

فالمرأة العاملة تقوم بثلاثة أدوار رئيسية: دورها كزوجة، ودورها كأم، ودورها كموظفة، وعليها أن تؤدى ثلاثة أنواع من الواجبات بهمة

ونشاط، وقد لا تجد الوقت أو القدرة أو الصحة، التى تمكنها من أداء هذه الواجبات، وعليها أن تعمل بعضها، وتترك البعض الآخر «فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها». ومع هذا قد تشعر بالتقصير، لأنها أدت الأهم من الواجبات، وتركت المهم، وهى غير راضية عن الذى تركته، لأنه مهم.

وإذا اجتهدت المرأة فى أداء الأنواع الثلاثة من الواجبات، وأنجزتها على حساب صحتها الجسمية والنفسية، شعرت بالإرهاق والتعب، وعانت الضغوط النفسية والتوترات، مما يسرع باستهلاكها جسميًا ونفسيًا، ويجعلها عرضة للأمراض الجسمية والسيكوسوماتية والتوتر والقلق والاضطراب (Pleck, 1983).

ويزداد الأمر سوءًا بالنسبة للمرأة العاملة، عندما تقع فى صراع الأدوار بسبب المطالب الكثيرة من العمل والبيت والأمومة والزوجية، ولا تجد الوقت لإنجاز كل هذه الأعمال، ولا تستطيع أن تفاضل بين الأهم والمهم منها، مما يجعلها غير راضية عن نفسها وحياتها، وقد تعانى الاكتئاب والاضطراب النفسى والأمراض السيكوسوماتية والمشكلات الزواجية والأسرية.

وعمل المرأة العاملة ثلاث «ورديات عمل» فى اليوم: وردية الزوجة، ووردية الأم، ووردية الوظيفة، يجعلها تعانى ضيق الوقت مع كثرة الواجبات، ويدفعها إلى أن تضحى بصحتها، وتحرم نفسها من متع الحياة، وتعيش فى ضغط العمل، ومسئوليات الأسرة معظم وقتها بالليل النهار، وطوال أيام الأسبوع جميعها، مما يعرضها للإجهاد والإرهاق والضغوط النفسية.

والزوجة العاملة المحظوظة هى التى يساعدها زوجها فى الأعمال المنزلية، ويساندها فى القيام بواجباتها الأخرى، ويخفف عنها ضغوط العمل فى البيت وخارجه، أما الزوجة التى لا يساعدها زوجها، فإنه يتركها نهبًا للضغوط والتوترات والأمراض، ويجعلها تشعر بالظلم والوحدة، وقد يصيبها القلق والإرهاق والمرض.

والمرأة الناضجة عقليًا هى التى تتوافق مع ظروف عملها وأسرتها، وتحقق التوازن بين مطالب الزواج والأمومة والعمل، وتعطى لأسرتها المرتبة الأولى فى اهتمامها، وتضع العمل في المرتبة الثانية، فإذا حدث تعارض بين واجباتها فى الأسرة، وواجباتها فى العمل، فالأولوية لواجبات الأسرة، وتخرج من الصراع النفسى، ولا تكلف نفسها إلا ما تقدر عليه، فالنجاح فى الأسرة مقدم على النجاح فى العمل.

وعلى الرجل زوج المرأة العاملة أن يساعد زوجته، وأن يساندها ويعاونها فى أداء واجباتها، وليس مطلوبًا منه أن يحل محلها فى البيت، بل يساعدها ويكمل جهودها، ويدعمها نفسيًا ويقف معها ولا يخذلها، فهى فى حاجة إلي مساندته لها وتعاونه معها.

الرجل والأعمال المنزلية:

يسهم كثير من الرجال فى الأعمال المنزلية فى معظم المجتمعات وعلى مر العصور، لاسيما فى المجتمعات الإسلامية، التى فيها الزوج مسئول عن إعداد بيت الزوجية وحمايته ورعايته، وتأتى مسئولية المرأة فى ذلك من باب التعاون مع الزوج على البر والتقوى، وليس من باب الوجوب والإلزام(٤). وقد وجد فى دراسات عديدة أن الأزواج يساهمون فى

الأعمال المنزلية فى الوقت الحاضر أكثر من قبل، ويرجع هذا إلى ثلاثة عوامل: أولها خروج المرأة إلى العمل، وثانيهما: وجود الرجل فى البيت فترة طويلة فهو لا يعمل خارج البيت أكثر من ٨ ساعات، وثالثها: دخول التقنيات الحديثة فى الأعمال المنزلية منها الغسالات والمكانس والطباخات، وغيرها من الأجهزة التى جعلت الأعمال المنزلية سهلة، ولا تحتاج إلى مهارات فى أدائها، بقدر ما تحتاج إلى مهارات فى تشغيل هذه الأجهزة، التى يستطيع كثير من الرجال تشغيلها، وإنجاز الأعمال المنزلية بسرعة ودقة وسهولة.

وتشير الدراسات فى مجتمعات كثيرة إلى أن الأعمال المنزلية تستغرق من وقت الزوج من ساعة إلى ساعتين فى اليوم. فمن دراسة على الأزواج فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا تبين أن الزوج يعمل فى البيت من ١٠ إلى ١٥ ساعة أسبوعيًا (أى حوالى من ساعة إلى ساعتين فى اليوم) (Lash - Hesselbert, 1986) وفى دراسة أخرى على ١٢٤٣ أبًا وأمًا من أربعة وأربعين ولاية أمريكية تبين أن الأباء يعملون فى الأعمال المنزلية من ٢٠ إلي ٣٠ دقيقة فى اليوم (هوكستشايلد، ١٩٩٥). وفى دراسة ثالثة تبين أن ٧٢٪ من الأزواج يسهمون فى الأعمال المنزلية بشكل فعال، ويساعدون زوجاتهم فى أعمال الكنس والطبخ والغسيل والترتيب والإصلاح وشراء ما يحتاجه البيت من الأسواقَ لاسيما إذا كانت الزوجة تعمل مع الرجل خارج البيت.

ومن دراسة على الأزواج فى الكويت تبين أن ٣٥٪ يساعدون دائمًا فى الأعمال المنزلية، و٥٢٪ يساعدون أحيانًا، و١٣٪ لا يساعدون مطلقًا. كما أشار ٢٧٪ من الأزواج إلى أن الأعمال المنزلية مسئولية

الزوجة، وليست مسئولية الزوج، فى حين ذهب ٧٣٪ إلى أن على الزوج مساعدة زوجته فى هذه الأعمال، لاسيما إذا كانت تعمل خارج البيت (مرسى، ٢٠٠٣) وتتفق هذه النتيجة مع نتائج ١٣ دراسة على إسهامات الأزواج فى أوروبا وأمريكا فى الأعمال المنزلية، وانتهت إلي تقسيم الأزواج إلى ثلاثة أقسام (هوكستشايلد، ١٩٩٥) نُوضحها فى الآتى:

أ- القسم الأول وعددهم قليل، ويضم الأزواج الذين يقبلون اقتسام الأعمال المنزلية مع زوجاتهم، لاسيما إذا كن يعملن معهم خارج البيت.

ب- القسم الثانى وعددهم كثير، ويضم الأزواج الذين يساعدون زوجاتهم فى الأعمال المنزلية، لاسيما الأعمال التى تتطلب جهداً عضلياً فى الفك والتركيب والحمل والترتيب.

جـ- القسم الثالث وهم قلة أيضاً، وتضم الأزواج الذين يرفضون المشاركة فى الأعمال المنزلية، حتى ولو كانت الزوجة تعمل خارج البيت.

والطريف أن الدراسات أشارت إلى أن الأزواج الذين يقبلون اقتسام العمل المنزلى مع زوجاتهم أفضل من الأزواج الآخرين فى نضج الشخصية وفى الالتزام الأخلاقى والدينى، وفى التفاؤل وإدراك السعادة فى الحياة الزوجية والأسرية.

عوامل إسهام الرجل فى الأعمال المنزلية: وتشير نتائج الدراسات إلى عوامل كثيرة، تدفع الرجل إلى المساعدة فى الأعمال المنزلية (هوكستشايلد، ١٩٩٥) من أهمها الآتى:

١- زيادة تقدير الرجل لزوجته وحبه لها.

٢- إحساس الرجل بمسئولياته فى الأسرة ورغبته فى القيام بها.

٣- اقتداء الرجل بأبيه الذى كان يساعد فى الأعمال المنزلية.

٤- تعلم الرجل مهارات الأعمال المنزلية من الصغر وتنشئته على احترامها.

٥- تجاوب الرجل مع حركات تحرير المرأة ومساواتها بالرجل.

٦- مستوى تعليم الزوجة وارتقاء مستواها الثقافى، ونضج شخصيتها، وعلو مكانتها الاجتماعية فى المجتمع.

٧- تشجيع الزوجة للزوج على الإسهام فى الأعمال المنزلية، وتقدير جهوده فيها.

عوامل عدم مشاركة الرجل فى الأعمال المنزلية: ومع أن كثيراً من الرجال مقتنعون بضرورة إسهام الرجل فى الأعمال المنزلية، لكن لا يزال إسهامات الرجال قليلة فى هذه الأعمال، ويرجع هذا إلى عدة عوامل (هوكستشايلد، ١٩٩٥: ٢٨٤) نلخصها فى الآتى:

١- نشأة الرجل على أن الأعمال المنزلية أعمال أنثوية، لا يقوم بها الرجال.

٢- انشغال الرجل بالعمل خارج البيت، وكثرة مسئوليات كسب الرزق وضغوط الإنفاق على الأسرة، التى لا تترك له وقتًا للإسهام فى الأعمال المنزلية.

٣- رغبة الرجل فى الاستمتاع بخدمة المرأة له وسيطرته عليها.

٤- اقتداء الرجل بأبيه الذى كان سيداً فى البيت، تخدمه زوجته وأولاده.

٥- خوف الرجل من أن تتعود المرأة على التقاعس عن أعمال المنزل وتستمرء قيامه بها.

٦- إدراك الرجل أن الأعمال المنزلية تحط من شأن الرجل، فلا يسهم فيها أو يخفى مساعدته لزوجته فى البيت، حتى لا ينتقص الآخرون من مكانته كرجل فى الأسرة، إذا علموا بإسهامه فى الأعمال المنزلية.

٧- عدم تشجيع الزوجة لزوجها على المشاركة فى أعمال اليت.

٨- انغماس المرأة فى الأعمال المنزلية، فلا تترك مجالاً لإسهامات الرجل فيها، وتعمل هى كل شىء فى المنزل بنفسها.

٩- اضطراب العلاقة الزواجية وكثرة غياب الرجل عن البيت وعدم ارتياحه للتعاون مع زوجته فى المنزل.

أهمية إسهام الرجل فى الأعمال المنزلية: أشرنا إلى أن إسهامات الرجل فى الأعمال المنزلية من واجباته فى رعاية الحقوق الزواجية، وهى وسيلة فعالة فى التعبير عن حبه واحترامه لزوجته، يضاف إلى هذا أن إسهامات الزوج فى هذه الأعمال ضرورى لاستقرار الحياة الأسرية، وزيادة تماسكها، لأن إسهاماته تخفف من ضغوط الأعمال المنزلية والأمومة والزوجية على الزوجة، لاسيما إذا كانت تعمل معه خارج البيت.

وتشير كثير من الدراسات إلى أن الزوج الذى يساعد زوجته فى البيت، يدعهما معنوياً، وينميها نفسياً ويحميها من ضغوط وصراع

أدوارها فى البيت والعمل، أما المرأة العاملة التى لا تجد المساعدة من زوجها فى البيت، فإنها تعانى التوتر والإرهاق بسبب عملها ورديتين: وردية العمل خارج البيت، ووردية العمل فى المنزل، وقد تشعر بالظلم والغضب والكراهية، وتعانى من مشكلات نفسية وجسمية واجتماعية عديدة.

ويتفق علماء الصحة النفسية على أن إسهامات الزوج فى الأعمال المنزلية من عوامل تنمية الصحة النفسية عند المرأة، ومن عوامل الاستقرار النفسى فى الأسرة. وللمسلمين القدوة الحسنة فى رسول الله ﷺ الذى كان يساعد زوجاته، فيحلب الشاة، ويخسف النعال، ويرقع الثياب. وعندما سئلت السيدة عائشة عما يفعله عليه الصلاة والسلام فى البيت قالت كان عليه الصلاة والسلام فى مهنة أهله، يرقع الثياب ويحلب الشاة ويخسف النعال.

مسئوليات القوامة

القوامة فى الأسرة مفهوم إسلامى(٥) خاص بالأسرة المسلمة، والقوامة مِنْ قام الرجل على المرأة أى قام بشأنها، وقام على أهله أى قام بشأنهم (القاموس المحيط، ص ١٤٨٧). وتهدف القوامة فى الأسرة إلى تحقيق هدفين رئيسين: أحدهما توجيه الأسرة وتحريكها نحو هدفها، لتقوم بوظائفها فى رعاية أفرادها، والثانى رعاية الأسرة والإنفاق عليها والمحافظة على تماسكها وترابطها، وتنمية المودة والمحبة والرحمة بين أفرادها.

الفرق بين القوامة والقيادة أو الرئاسة:

يختلف مفهوم القوامة فى الأسرة عن مفهوم القيادة أو الرئاسة فى أية جماعة أو مؤسسة أو شركة أو وزارة فى عدة جوانب، أهمها الآتى:

١- القوامة لا تُعطى مَن يقوم بها مركزًا أو منصبًا فى الأسرة، أما القيادة أو الرئاسة فى أية جماعة اجتماعية، فتضع مَنْ يقوم بها فى مركز أو منصب قائد أو رئيس، وهو مركز متميز بين أفرادها، له وجاهته ومكانته.

٢- القوامة واجبات لا تقابلها حقوق، فَمن يقوم بالقوامة يتحمل التزامات نحو الأسرة، ولا يحصل على حقوق أو امتيازات خاصة بها. فالقوامة تكليف وليست تشريفا، ومغرم وليست مغنما. أما القيادة أو الرئاسة فى أية جماعة اجتماعية غير الأسرة، فمكانة اجتماعية ترفع من شأن القائد أو الرئيس فى الجماعة، وتلزمه بواجبات، وتعطيه حقوقا وامتيازات مادية ومعنوية وأدبية فى الجماعة. فالقيادة أو الرئاسة منصب يسعى كثير من أفراد الجماعة إليه، لأن فيه تشريفا ومغنما ماديا ومعنويا وأدبيا.

٣- السلطة فى القوامة ليست قوة وسيطرة، وإنما رعاية وحماية وتوجيه ومسئولية. فَمنْ يقوم بالقوامة فى الأسرة يخدم أفرادها ويرعاهم، ولا يتسلط عليهم، لأنه منهم وهم منه. أما القيادة أو الرئاسة فهى منصب أو مركز، يعطى مَنْ يشغله صلاحيات وسلطات على أفراد الجماعة. فالقائد أو الرئيس فى أية جماعة صاحب سلطة Power يستمد منها هيبته ومكانته، وتأثيره على أفراد الجماعة.

٤- واجبات القوامة تتضمن واجبات قيادية وإشرافية وتنفيذية معًا. فمن يقوم بالقوامة فى الأسرة يخطط ويوجه وينفذ ويتابع، فهو رئيس ومرءوس فى آن واحد، وهو المسئول عن رعاية أفراد الأسرة وخدمتهم وقيادتهم، وينطبق عليه قول القائل «سيد القوم خادمهم».

أما القائد أو الرئيس فى أية جماعة اجتماعية، فيمارس التخطيط والتوجيه والمتابعة، ويترك التنفيذ للمرءوسين فى الجماعة، الذين يأتمرون بأمره، ويلتزمون بتوجيهاته، فمسئوليات الرئيس تختلف عن مسئوليات المرءوسين.

٥- تقوم القوامة على روابط الزواج أو الدم، وهى روابط قوية، تجعل مَنْ يقوم بالقوامة يعيش من أجل مَنْ يرتبط بهم، ويستخدم سلطاته فى القوامة لرعايتهم، والإنفاق عليهم. فالقوامة حقوق لأفراد الأسرة على مَنْ يقوم بالقوامة عليهم(٥). أما القائد أو الرئيس فى أية جماعة، فيرتبط بأفرادها بروابط عمل، أو روابط مهنية، ويستخدم صلاحياته وسلطاته فى إدارة العمل، وتوزيع المسئوليات على الأفراد، ويركز على إنتاجية العمل فى الجماعة.

٦- السلطة فى الأسرة متبادلة بين مَنْ يقوم بالقوامة وأفراد الأسرة، فالزوج له سلطة على الزوجة، والزوجة لها سلطة على الزوج، والآباء لهم سلطة على الأبناء، والأبناء لهم سلطة على الآباء، فكل منهم يؤثر فى الآخرين فى الأسرة ويتأثر بهم. أما السلطة فى أية جماعة أخرى غير الأسرة فيمارسها القائد على الأتباع، أو الرئيس على المرءوسين.

لذا كان الأمر فى الأسرة شورى بين أفرادها، وفى الجماعات الأخرى رئاسى أو استبدادى أو ديمقراطى وفق أسلوب القيادة أو الإدارة، الذى يقوم على سلطة الأعلى (القائد أو الرئيس) على الأدنى (المرءوسين أو الأفراد).

ويسير التفاعل بين القَوَّام وأفراد الأسرة فى اتجاه أفقى من الزوج إلى الزوجة، ومن الزوجة إلى الزوج، أو من الوالدين إلى الأبناء، ومن الأبناء إلى الوالدين. أما فى أية جماعة أخرى فيسير فى اتجاه رأسى: من

الرئيس إلى المرءوسين، وليس من المرءوس إلى الرئيس. والشكل رقم (٦) يبين تفاعل القوامة فى الأسرة، وتفاعل القيادة أو الرئاسة فى الجماعات غير الأسرة.

تأثير سلطة القوامة فى الأسرة

(أ) السلطة فى العلاقة الزوجية

من الزوج ← إلى الزوجة

من الزوجة ← إلى الزوج

تأثير السلطة أفقى متبادل

(ب) السلطة فى العلاقة الوالدية (الأب)

من الأب ← إلى الأبناء

من الأبناء ← إلى الأب

تأثير السلطة أفقى متبادل

(جـ) القوامة فى العلاقة الوالدية (الأم)

من الأم ← إلى الأبناء

من الأبناء ← إلى الأم

تأثير سلطة القيادة أو الرئاسة فى الجماعات الأخرى

من القائد أو الرئيس

تأثير السلطة رأسى

إلى الأتباع أو المرءوسين

(الشكل رقم ٦) اتجاهات تأثير السلطة فى القوامة والقيادة أو الرئاسة

obeikandl.com

ونخلص من هذه المقارنة إلى أن القوامة ليست مرادفة للقيادة أو الرئاسة. فالقوامة وإن كانت تتضمن توجيه وإدارة، واتخاذ القرارات كالقيادة أو الرئاسة، فإنها تختلف عنهما فى الرعاية والإنفاق والحماية والمودة والرحمة، وهى وإن كانت تتضمن سلطة كالقيادة والرئاسة، إلا أن تأثير السلطة فيها متبادل، ويسير من اتجاه أفقى، وليس فى اتجاه رأسى. فالسلطة فى الأسرة تسير من الزوج إلى الزوجة ومن الزوجة إلى الزوج، لأن الزوجين فى مستوى واحد، ولا يترتب على قوامة الزوج أو الزوجة أن يكون أحدهما فى مرتبة أعلى من الزوج الآخر، وإذا حدث وتسلط أحدهما على الزوج الآخر، كانت قوامته رئاسية تسلطية، وكانت الأسرة جماعة اجتماعية، وليست جماعة أسرية.

وإذا كان القائد أو الرئيس فى أية جماعة اجتماعية يتأثر بمرءوسيه ويشركهم فى القيادة معه، ويحرص على رعايتهم وحمايتهم، فإنه يكون كالأب أو الأم فى القوامة، وتكون الجماعة كالأسرة فى التماسك والترابط، ويعرف هذا الأسلوب فى علم الإدارة بالقيادة الأبوية أو الرئاسة الأبوية، ويُعده خبراء الإدارة من أفضل أساليب القيادة أو الإدارة، لأنه يحافظ على تماسك الجماعة، ويرفع مستوى الإنتاج فيها.

الإسهامات النسبية فى القوامة:

يسهم كل من الزوجين أو الوالدين فى مسئوليات القوامة، فالرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، فكل من الزوجين راع ومسئول عن رعيته (من حديث رواه البخارى).

وتتطلب ديناميات الجماعة عدم التساوى بين الزوجين فى واجبات القوامة، فقد تكون واجبات الزوج أكبر من واجبات الزوجة، فتصبح الأسرة أبوية Patriarchal family، وقد تكون واجبات الزوجة أكبر من واجبات الزوج، وتصير الأسرة أمومية Matriarchal family. وفى ضوء نظرية الواجبات والحقوق المتقابلة فى الأسرة، فإن المرأة تستفيد من القوامة، وتحصل على حقوق أكثر من الرجل فى الأسرة الأبوية، ويستفيد الرجل من القوامة، ويحصل على حقوق أكثر من المرأة فى الأسرة الأمومية.

وقد جعل الإسلام الأسرة المسلمة «أسرة أبوية»، ولم يجعلها «أسرة أمومية». فقال سبحانه: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا** ﴾ [النساء: ٣٤]. وهذه الآية قطعية فى دلالاتها على قوامة الرجل فى الأسرة، وليس فى ذلك اجتهاد لأن النص صريح، والآية واضحة المعنى.

ومع هذا فقد حدد الإسلام نطاق القوامة، فجعلها فى مجال الواجبات والحقوق الزواجية، فألزم الرجل بواجبات القوامة فى رعاية الزوجة، والإنفاق عليها وحمايتها، وألزم المرأة بطاعة الزوج فى الأمور الزواجية فى غير معصية الله (البهنساوى، ١٩٨١).

وهذا يعنى أن القوامة عبء على الزوج والتزامات يقوم بها لصالح الزوجة، التى تستفيد من رعايته لها، وإنفاقه عليها، فالقوامة واجبات زواجية بالنسبة للرجل، وحقوق زواجية بالنسبة للمرأة، أو هى كما يريدها الشرع الحنيف جهود يقوم بها الرجل من أجل مصلحة المرأة.

وحدد الإسلام قوامة الزوج على الزوجة فى العلاقة الزواجية فقط، ولم يجعل له سلطة مطلقة عليها فى أموالها وأمورها الشخصية، فهى حرة فى إدارة أموالها، والتصرف فيها كما تشاء، فقوامة الزوج لا تنقص من أهلية الزوجة، ولا من قدرها الاجتماعى.

ولم يعط الإسلام القوامة للرجل على المرأة، لأنه ذكر وهى أنثى، وإنما أعطاها له لأنه زوج وهى زوجة. أما فى العلاقة الوالدية فالقوامة للمرأة على الرجل إذا كانت أمًا، وهو ابنا لها، فعليه السمع والطاعة، ولا يقل لها أف ولا ينهرها.

أسباب زيادة إسهامات الزوج فى القوامة:

وترجع زيادة إسهامات الزوج على إسهامات الزوجة فى القوامة فى الأسرة المسلمة إلى ستة عوامل رئيسة(٧) نلخصها فى الآتى:

١- **أمر الله سبحانه وتعالى**، الذى جعل القوامة فى الأسرة للرجل، فقال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا**﴾ [النساء: ٣٤] وعلى المسلمين: الرجال والنساء السمع والطاعة، وليس لأحد منهم أن يعترض على أمر الله، أو يسأل لماذا هذا الأمر؟ لأن الله قال: ﴿**مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٢- **إيمان المسلمين أن «قوامة الرجل فى الأسرة» فيها مصلحة الرجل والمرأة والأسرة والمجتمع**، لأنها تشريع سماوى صالح للإنسان فى كل زمان ومكان، وهذا ما يجعل الزوج المسلم يسهم أكثر من الزوجة فى القوامة، ويجعل الزوجة المسلمة تطيع زوجها فى غير معصية، وتعطيه

مساحة أكبر فى مسئوليات القوامة، فالمسلم والمسلمة يؤمنان بحكمة الله فى قوامة الرجل، ويستجيبان لها بنفس راضية.

٣- اتفاق الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام على قوامة الرجل فى الأسرة، وطاعة المرأة لزوجها، فقد جاء فى العهد الجديد «الرجل رأس المرأة»، وعلى المرأة الخضوع لزوجها. وجاء فى الإسلام «**الرجال قوامون على النساء**».

٤- اتفاق قوانين الأحوال الشخصية والأعراف الاجتماعية فى كثير من المجتمعات على قوامة الرجل فى الأسرة، فالأسرة الأبوية أكثر انتشاراً فى المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية. وتبالغ كثير من المجتمعات غير الإسلامية فى تدعيم تبعية الزوجة لزوجها، فتغير اسم المرأة بعد الزواج ليتفق مع اسم زوجها. ونص القانون الفرنسى على أن يتولى الزوج أمر زوجته، وعليها طاعته، والخضوع له، والسكن عنده، والانتقال معه إلى أى مكان وعدم التصرف فى أموالها إلا بإذنه.

٥- اتفاق نتائج العديد من الدراسات على أن التفاعل الاجتماعى فى الأسرة الأبوية، أفضل منه فى الأسرة الأمومية، لأن قوامة الرجل فى الأسرة يدل على كفاءة الزوجين فى القيام بأدوارهما الزواجية والوالدية، ويدل على نضج شخصيتهما، واتساق سلوكياتهما مع العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة فى المجتمع.

أما قوامة المرأة فى الأسرة فيدل على خلل فى أدوار الزوجية والوالدية، فقد تكون الزوجة أقوى من الزوج فى الشخصية، أو تكون الزوجة متسلطة والزوج إمعة اتكاليًا، مما يجعله غير قادر على القيام بواجباته

الزوجية والوالدية ويؤدى إلى خلل فى التفاعل الزواجى والأسرى، حيث تلعب الزوجة دور الزوج، ويلعب الزوج دور الزوجة، ويكون كل منهما قدوة سيئة للأبناء، ويؤثر سلبًا على نموهم النفسى وتوافقهم الاجتماعى.

٦- استخلاص كثير من الباحثين من نتائج العديد من الدراسات أن «الأسرة الأبوية» أفضل من «الأسرة الأمومية» فى رعاية أبنائها، وفى توفير الأمن والأمان لهم. فقد تبين من هذه النتائج أن معدلات الصحة النفسية والجسمية عند أبناء «الأسر الأبوية» أعلى منها عند أبناء «**الأسرة الأمومية**»، وأن معدلات الانحرافات النفسية والأمراض الجسمية عند أبناء الأسر الأمومية أعلى منها عند أبناء «الأسر الأبوية» (Crow & Crow, 1951) (مرسى، ٢٠٠٠).

مسئوليات الإنفاق

تتكون مسئوليات الإنفاق من ثلاثة أنواع من المسئوليات:

النوع الأول: وهى مسئوليات كسب الرزق Breadwinner responsibilities الذى يحدد دخل الأسرة ومستوى معيشتها (دخل الأسرة).

النوع الثانى: وهى مسئوليات الصرف على مسكن الأسرة وحاجات معيشة أفرادها، وتكاليف التعليم والعلاج والترويح وغيرها (الإنفاق على المعيشة).

النوع الثالث: وهى مسئوليات تحقيق التوازن بين دخل الأسرة، والإنفاق على معيشتها، وادخار ما يزيد من الدخل، والتعامل مع الأزمات المالية، التى قد تتعرض لها الأسرة، والتغلب عليها (ميزانية الأسرة).

ويسهم كل من الزوجين فى مسئوليات الإنفاق على الأسرة بجهده وماله وفكره وعمله خارج البيت وداخله، فكل منهما يسهم فى كسب رزق الأسرة، وفى الصرف عليها، وفى تحقيق التوازن بين الدخل والإنفاق بشكل مباشر أو غير مباشر.

لكن إسهامات الزوج أكبر من إسهامات الزوجة فى الإنفاق، لاسيما الأسرة المسلمة للأسباب الآتية:

١- **الالتزام بالشريعة الإسلامية** التى جعلت الإنفاق على الأسرة من واجبات الزوج. قال تعالى ﴿ **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقال: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [الطلاق: ٧] وقال رسول الله ﷺ: «**أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تلبسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن**» (رواه أبو داود). وقال: «**فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون. ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن**» [من حديث رواه الترمذى].

والخطاب فى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة موجه إلى الرجال ويشير مضمونها إلى أن الإنفاق على الأسرة واجب شرعى على الزوج نحو زوجته وأولاده.

٢- **ارتباط الإنفاق بالقوامة فى الأسرة المسلمة**، التى جعلها الإسلام « أسرة أبوية » وألزم الرجل بالقوامة والإنفاق عليها. قال تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا** ﴾ [النساء: ٣٤].

٣- الثواب الذى جعله الله سبحانه وتعالى للإنفاق على الأسرة يدفع الرجل إلى تحمل مسئولياته فى الإنفاق على الأسرة فقد جعل الله ثواب الانفاق على الأسرة أكبر من ثواب الصدقة فى سبيل الله. فقال عليه الصلاة والسلام: «**دينار تنفقه على أهلك، ودينار تنفقه على مسكين، ودينار تنفقه فى سبيل الله أعظمها أجراً الذى تنفقه على أهلك**» (رواه مسلم) وقال ﷺ: «**إنك لا تنفق نفقة إلا أجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها إلى فى زوجتك**» (رواه البخارى).

٤- **العرف السائد فى المجتمعات جميعها** شرقية وغربية، ومسلمة وغير مسلمة، يلزم الرجل أكثر من المرأة بالعمل خارج البيت، ويضع عليه العبء الأكبر فى مسئوليات كسب الرزق، والإنفاق، وتحقيق التوازن بين دخل الأسرة ومصروفاتها،وعلاج الأزمات المالية التى قد تتعرض لها الأسرة.

المرأة والإنفاق على الأسرة:

لم يجعل الشرع المرأة مسئولة عن الإنفاق ومع ذلك حثها على الإسهام فيه من باب التعاون مع الزوج، ومساندة الأسرة ورفع مستوى معيشتها، فهى صاحبة مصلحة فيها، ولن تبخل عليها بجهدها ومالها ووقتها.

فالمرأة تسهم بطريقة مباشرة فى الإنفاق، إذا كانت ذات مال من عمل أو تجارة أو عقار أو غير ذلك، فتشارك بمالها فى زيادة دخل الأسرة، وترفع من مستوى معيشتها.

وتسهم بطريقة غير مباشرة بجهدها ووقتها فى أعمال البيت ورعاية زوجها وأولادها. فتقدم خدمات للأسرة، وتوفر حاجات أفرادها بتكلفة قليلة، أو من دون مقابل، وتخفف من أعباء المعيشة على الزوج.

وتسهم المرأة أيضًا فى الإنفاق من خلال مشاركة الزوج فى تدبير شئون الأسرة المالية، وتخطيط ميزانيتها، وتحديد الأولويات فى الإنفاق، وتحقيق التوازن بين الدخل والمصروفات، كى لا تتعرض الأسرة للديون والأزمات المالية.

وتقف المرأة إلى جانب الزوج فى مواجهة الأزمات المالية، التى قد تتعرض لها الأسرة، وتنفق من مالها إذا كانت ذات مال، وقد تبيع من ممتلكاتها فى سبيل سداد ديون الأسرة أو الإنفاق على ضروريات معيشتها، إذا عجز الزوج عن الإنفاق. فبالرغم من أنها غير مسئولة عن الإنفاق، فإنها تتحمل الكثير من الأعباء المالية وتساعد زوجها عن طيب خاطر، وتحفظ له ماله، وتعطيه من مالها عند الحاجة. لذا وصف رسول الله ﷺ الزوجة الصالحة بأنها التى تحفظ مال زوجها، فهى راعية ومسئولة عن رعيتها.

وقد أجاز الإسلام أن تدفع الزوجة زكاة مالها إلى زوجها إذا كان فقيرًا، لأنها ليست مسئولة شرعًا عن الإنفاق عليه ولا على الأسرة، لكن لا يجوز للرجل أن يدفع زكاة ماله إلى زوجته، لأنه مسئول عن الإنفاق عليها.

الأسس النفسية للإنفاق:

يقوم الإنفاق على الأسرة على أسس نفسية نلخصها فى الآتى:

١- **القناعة وترك الطمع**: ولا تعنى القناعة الرضا بالقليل والزهد فى الكثير، بل تعنى رضا الزوجين برزقهما والسعى إلى التوسع فيه، وزيادة دخلهما كلما تيسر لهما ذلك.

٢- **كسب الرزق من حلال**: لكى يبارك الله فى دخل الأسرة. وهذا يتطلب العمل الشريف فى الحكومة أو القطاع الخاص، مع الإخلاص فيه ورفض كل مال حرام.

٣- **بر الوالدين والإحسان إليهما وصلة رحمها**: لكى يزيد الله للزوجين فى الرزق، ويبارك لهما فيه. فقد قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه**» (رواه مسلم).

٤- **الاجتهاد فى طلب الرزق**: الذى ربطه الله بالأخذ بالأسباب والتوكل على الله سبحانه وتعالى. فالسماء كما قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- لا تمطر ذهباً ولا فضة، فالرزق لا يأتى إلا بالعمل والاجتهاد فيه، والتوكل على الله موزع الأرزاق، والذى يرزق من يشاء بغير حساب.

٥- **تحقيق التوازن بين الدخل والإنفاق**: بحيث تكون مصروفات الأسرة مناسبة لدخلها، لكى لا تتورط فى الاقتراض من البنوك أو من الناس، وتقع فى الأزمات المالية.

٦- **الابتعاد عن الشراء بالتقسيط إلا فى الضروريات وفى حدود ضيقة**: فلا يتوسع الزوجان فى الدفع بالأقساط، ولا فى الاقتراض من البنوك، لاسيما إذا كان الدخل محدوداً ولا يتحمل الأقساط والقروض

٧- الاعتدال فى الصرف: فلا تبذير حتى ولو كان الدخل كبيراً فالزوجان المؤمنان من عباد الرحمن ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٧] ويلتزمان بقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٩].

٨- الابتعاد عن البخل والتقتير: فلا يمتنع الزوجان أو أحدهما عن الإنفاق على ضرورات الحياة، وتوفير حاجات أفراد الأسرة بالمستوى المناسب لا سيما إذا كانت الأسرة ميسورة الحال.

٩- الابتعاد عن تقليد الآخرين فى الإنفاق: فلكل أسرة حاجاتها التى قد تختلف عن حاجات الأسر الأخرى. فلا يشترى الزوجان الأشياء أو الخدمات التى اشتراها الآخرون. فما ينفع الآخرين قد لا ينفعهما، وما يقدر الآخرون على شرائه قد لا يقدران على شرائه، فكم من أسرة غرقت فى الديون بسبب التقليد الأعمى فى شراء أشياء، ليست فى حاجة إليها، أو ليست ضرورية لحياتها ومعيشتها.

١٠- مساندة الزوجة للزوج فى تنمية موارد الدخل من حَلَال: وترشيد الإنفاق، وزيادة المدخرات فى أيام اليسر من أجل أيام العسر. فالزمان قُلَّب، والأيام تتغير.

١١- إخراج الزكاة كلما مر الحول على مدخرات الأسرة: وهى حوالى ٢,٥٪ من المدخرات، تعطى للفقراء. والأقربون أولى بالمعروف. ففى الزكاة بركة ونماء للرزق، وتطهير للنفوس والأبدان. قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

١٢- تقوى الله: أى التزام الزوجين بتقوى الله فى علاقتهما ببعض وفي والديهما وأعمالهما وأولادهما وجيرانهما وعباداتهما ومعاملاتهما مع الناس ومع الله. فقد وعد الله من يتق الله أن يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب. فقال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

الهوامش

(١) تزداد مسئوليات الأسرة فى المراحل التالية من دورة حياة الأسرة إلى ستة أنواع من المسئوليات، فبعد الإنجاب تظهر مسئوليات الوالدية أى الأمومة والأبوة، وبعد بلوغ الوالدين الكبر: أحدهما أو كلاهما، تظهر مسئوليات بر الوالدين وصلة الرحم، وتصبح المسئوليات فى الأسرة المسلمة: الواجبات الزواجية، والأعمال المنزلية، والقوامة والإنفاق والوالدية وبر الوالدين.

(٢) تدخل مسئوليات الأعمال المنزلية والإنفاق والقوامة ضمن الواجبات الزوجية للزوجين فى رعاية الحقوق الزواجية ،وضمن واجبات الوالدية فى رعاية حقوق الأبناء، وتدخل أيضًا ضمن واجبات البنوة وبر الوالدين وصلة الرحم فى رعاية حقوق الآباء. وسنركز فى هذا الفصل على أهمية الأعمال المنزلية والإنفاق والقوامة والواجبات الزواجية فى رعاية كل من الزوجين للزوج الآخر.

(٣) لمزيد من المعلومات عن حاجات الإنسان العضوية وغير العضوية يرجع إلى:
محمد عودة وكمال إبراهيم مرسى (٢٠٠٠) **الصحة النفسية فى ضوء الإسلام وعلم النفس**. الكويت: دار القلم.

(٤) يقول المالكية والحنفية والشافعية والحنابلة وأهل الظاهر قيام المرأة بالأعمال المنزلية ليس من واجباتها الشرعية، وعللوا ذلك أن المعقود عليه من جهة المرأة إنما يتضمن الاستمتاع، ولا يتضمن الاستخدام، فأساس عقد الزواج الاستمتاع المادى والمعنوى، وليس الاستخدام وبذل المنافع. وعلى الزوج أن يقوم بما يحتاجه المنزل، وتتولى المرأة الإشراف والترتيب والتدبير، وإذا قامت بالمساعدة فى الأعمال المنزلية فمن باب التعاون ومكارم الأخلاق بينهما، وما جرت به العادة أو العرف فى المجتمع، وليس من باب الواجب الشرعى. لمزيد من المعلومات يرجع إلى سابق، سيد (١٩٦٩)، **فقه السنة (مجلد ٢)**. بيروت: دار الكتاب العربى..

(٥) يعتقد كثير من الناس أن القوامة « حق للرجل » وهذا خطأ لسببين:

أ- لو كانت القوامة حقا للرجل أصبحت واجبًا على المرأة، أى هى التى تقوم بمسئوليات القوامة لصالح الرجل، لأن واجبات الزوجة حقوق للزوج.

ب- عندما تكون القوامة حقًا للرجل معناه أن الرجل هو الذى يستمتع بها، ويستفيد منها، ومن سلطاتها التى تجعله سيدًا والمرأة عبدة عنده.

(٦) المقصود بالقوامة فى الاصطلاح الشرعى: الإعالة والإنفاق، والمحافظة على الزوجة والأبناء، وتدبير شئون الأسرة، وتصريف أمورها، وتوجيه أفرادها. ويتفق كثير من الفقهاء على أن قوامة الرجل لا تزيد على أن تكون له الكلمة الأخيرة بعد المشورة، على ألا يخالف بها شرعًا، ولا ينكر معروفًا، أو يجحد بها حقًا، أو يجنح إلى سفه أو إسراف. لمزيد من المعلومات يرجع إلى:

الغزالى، الشيخ محمد (١٩٩٠) **قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة**. القاهرة: دار الشروق ص ١٥٤- ١٥٧.

(٧) ينقسم الباحثون حول قوامة الرجل فى الأسرة إلى فريقين: فريق يؤيد قوامة الرجل، ويضم رجال الدين اليهود والمسيحيين وفقهاء المسلمين، وكثير من علماء النفس والاجتماع والقانون، أما الفريق الثانى فيرفض قوامة الرجل فى الأسرة، ويعدها ظلمًا للمرأة، ويدعو إلى إعطاء القوامة للزوجين معًا، أو الزوج الأكفأ، ويضم هذا الفريق زعماء حركات تحرير المرأة، والشيوعيين والوجوديين والملحدين، وغيرهم من المناهضين للأسرة التقليدية. لمزيد من المعلومات عن آراء المناهضين لقوامة الرجل والمؤيدين لها يرجع إلى الباب الثالث من هذا الكتاب، ويرجع أيضًا إلى:

مرسى، كمال إبراهيم (٢٠٠٢) **العلاقة الزوجية والصحة النفسية** الكويت: دار القلم ص ص ١٥٨-١٦٤.